العرب
الجمعة 2019/08/02
السنة 42 العدد 11426

أردوغان يتفقد مقر الاستخبارات الجديد ليطمئن نفسه أم ليهدد المعارضة

هل يتحول هاكان فيدان من حافظ أسرار الرئيس إلى أحد كوابيسه

لم يعد ينفع إلا الدعاء

تزداد الأمور سوءا بالنسبة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان مع تصاعد أعداد "الحلفاء" الفارين من سفينته نحو سفن حزبية أخرى، فيما تتقلص خياراته لإيقاف الانشقاقات التي يمكن أن تضعفه في البرلمان وتؤثر في الانتخابات العامة المقررة في البلاد قبل يونيو 2023، الأمر الذي يدفعه إلى التلويح بسطوة جهاز مخابراته وما يعنيه ذلك من عمليات تنصت وتلفيق جرائم وملاحقات وتصفيات.

أنقرة – بعث الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عبر الجولة التفقدية التي قام بها مؤخرا لمقرّ الاستخبارات التركية الجديد الذي يقع على أطراف أنقرة، برسائل استهدفت المعارضة التي قويَت قاعدتها وتوسّعت لتشمل الحلفاء قبل الغرماء. رسالة أردوغان الرئيسية تقول "إن العين عليكم"، مذكّرة بعملية التصفية التي حصلت إثر الانقلاب الفاشل في صيف 2016.

لكن، لا يبدو أن صدى هذه الرسائل قويا بالشكل الذي يمكن أن يدفع المعارضة إلى التراجع بل بالعكس فضحت قلقا وتوترا بعد أن اختار عددٌ من الشخصيات البارزة في حزب العدالة والتنمية، على غرار رئيس الوزراء الأسبق علي باباجان والرئيس السابق عبدالله غول، ورئيس الوزراء الأسبق أحمد داود أوغلو، القفز من ظهر سفينة الرئيس الغارقة نحو سفينة حزبية جديدة؛ والأخطر أن السفينة الجديدة قد تشمل أيضا رئيس جهاز الاستخبارات الوطنية هاكان فيدان، الذي قال عنه أردوغان يوم تنصيبه على رأس جهاز الاستخبارات التركية، "إنه حافظ إسراري، إنه حافظ أسرار الدولة".

ويعلق الكاتب التركي أونور ميته على هذه التطورات، قائلا "بعد 16 عاما من حكم الرئيس رجب طيب أردوغان، ثمة مؤشرات تدل على أن السياسة في تركيا تدخل فترة التغيير. وهذا التغيير يعتمد بشكل خاص على الموقف الذي يتخذه رئيس جهاز الاستخبارات الوطنية هاكان فيدان".

دولة المخابرات

عمل أردوغان منذ أن كان رئيسا للوزراء، على إصدار العديد من القوانين ووضع يده على وسائل الإعلام، وطرد الآلاف من القضاة ورجال الشرطة وفرض حظرا على المواقع الإلكترونية وقلّص من سطوة الجيش ووضع يده على جهاز الشرطة ومختلف مؤسسات الدولة، لكن يبقى التغيير الأبرز ذلك الحاصل على مستوى جهاز المخابرات، حتى أن البعض من المحللين يذهبون إلى القول إن أردوغان خلّص تركيا من وصاية الجيش ليضعها تحت سلطة المخابرات.

بدأت بوادر هذا التحول تظهر إلى العلن في سنة 2010، حين أعلن أردوغان تعيين هاكان فيدان، على رأس المؤسسة الاستخباراتية التركية. وتمت إعادة بناء الاستخبارات التركية بتقسيمها إلى جهازين أحدهما للداخل، يترصّد المعارضة ويمنع الكشف عن المزيد من قضايا الفساد التي تمس الرئيس وجماعته، واستخبارات للخارج، وهي بدورها تصب في صالح خدمة الخطة الأردوغانية الطامحة إلى مدّ النفوذ في المنطقة ومحاصرة المعارضين.

وكان كمال كيليتشدار أوغلو، زعيم المعارضة، قد اتهم حكومة العدالة والتنمية بالسعي إلى إعادة القوانين التي كان وضعها الجنرال كنعان إيفرين قائد الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر 1980. وجاء هذا الاتهام، على خلفية القوانين التي تمت المصادقة عليها سنة 2014، وقضت بتوسيع صلاحيات جهاز المخابرات وبإتاحة التنصت على المعارضين والمتابعة التقنية لهم بتهمة الجريمة ضد النظام.

> ثمة مؤشرات تدل على أن السياسة في تركيا تدخل فترة التغيير، الذي يعتمد بشكل خاص على الموقف الذي يتخذه رئيس جهاز الاستخبارات الوطنية هاكان فيدان

واليوم، يبدو أن حاجة الرئيس التركي ملحة لهذه الممارسات في ظل التغييرات التي تزحف على السياسة التركية دون أن يستطيع كبحها، فيما لا تبدو أربع سنوات، وهي المدة الفاصلة عن الانتخابات الرئاسية، كافية لرتق الشرخ الحاصل في حزب العدالة والتنمية والخروج من كل الأزمات التي صنعتها سياسات أردوغان في الداخل والخارج.

يستدعي هذا الوضع من أردوغان المسارعة إلى زيادة التجسس على المواطنين الأتراك والأحزاب المعارضة، وإجهاض أيّ محاولة للتجمّع ضدّه أو الإطاحة به. ويبدو أن خشية أردوغان دفعته إلى تصدير الخوف إلى المواطنين الأتراك، وتوظيف الهالة المحيطة بجهاز الاستخبارات لخدمة مصلحته الشخصية، وتقديم إنجاز المبنى الضخم الذي ويمتد على مساحة 5 آلاف دونم، والمحاط من جميع الاتجاهات بجدار ضخم يبلغ ارتفاعه 3 أمتار، والمجهّز بأحدث التقنيات، على أنّه عائد له، وبمعنى آخر في خدمته للتجسّس على الجميع، وإحصاء أنفاسهم عليهم، إذا اقتضت الضرورة.

وتأتي زيارة أردوغان، الأربعاء الماضي، إلى مبنى الاستخبارات التركية الجديد، من منطلق حرصه على إظهار سلطته، والتأكيد على وقوف جهاز المخابرات الممسك بزمام الأمور إلى جانبه. كما يوجّه رسائل مباشرة إلى الداخل والخارج معا. ومن رسائله أنّه الرئيس القوي الذي لا تنال منه أيّ هزّة أو نكسة يتعرّض لها، وأنّ نظامه الرئاسي الجديد يعتمد على القوة المفرطة، وجهاز الاستخبارات بكلّ إمكانياته وطاقاته يقف إلى جانبه ويدعمه لصدّ أيّ محاولة للتمرّد أو الانقلاب عليه.

ويحاول الرئيس التركي التأكيد على أنه لا يمكن للاستياء الشعبي المتنامي ضدّه وضدّ سياساته الاقتصادية، وكذلك التململ ضمن صفوف حزبه، ولاسيما بعد خسارته المدن الرئيسية في الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت في نهاية مارس الماضي، أن ينالا من هيبته وسلطته، وأنّه ينبغي الخوف من غضبه، والعمل على تجنّب إثارته كي لا يؤلّب جهاز المخابرات على مَن يريد، وهذا ما يوصف من قبل معارضيه بأنه سلوك يتوافق مع صورة لزعيم عصابة وليست لرئيس دولة.

ويسعى كذلك إلى التذكير بأنّ جهاز الاستخبارات، ورئيسه هاكان فيدان الذي يتمتّع بنفوذ كبير في أجهزة الدولة، يقفان إلى جانبه، وهو أمر تشكك فيه التقارير التي تؤكد أن فيدان، المقرب من عبدالله غول، لن يتخلى عن أحلامه التي حاول أردوغان كبتها من قبل.

ولا يخفي هاكان فيدان رغبته في لعب دور سياسي، وقد سعى إلى ذلك بعد أن أنهى قيادة جهاز الاستخبارات لمدة خمس سنوات. وكان يخطط لأن يكون نائبا في البرلمان ثم وزيرا للخارجية، فرئيسا للوزراء على خطى أحمد داود أوغلو، لكن أردوغان أطاح بأحلام رئيس استخباراته السياسية.

من المخابرات إلى الرئاسة

يقول أونور ميته "فيدان وجهاز الاستخبارات الوطنية يتمركزان في قلب الدولة مباشرة، وقد ظل رئيس الاستخبارات إلى الآن يصطف دائما على الجانب الفائز".

وكان فيدان يتطلع إلى إنهاء فترة مهمته، المحددة بخمس سنوات، لينتقل إلى النشاط السياسي إلا أن خططه عرقلها أردوغان؛ فقد كان يمني النفس بأن يصبح رئيس الوزراء القادم بعد داود أوغلو. لكن في حين كان بإمكان أردوغان قبول شخصيات قوية في الجهاز البيروقراطي للدولة، لم يستطع تحمل الشيء نفسه في المواقع السياسية.

وهكذا اُضطر فيدان إلى تأجيل طموحاته السياسية. وهو في طريقه ليقضي أطول فترة في رئاسة جهاز الاستخبارات الوطنية منذ تولي شوكرو علي أوجيل، أول رئيس لجهاز الاستخبارات، الذي عينه مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك.

لكن، قد يرى فيدان في المتغيرات الحاصلة فرصته. ويرى أونور ميته أنه في ظل أن الأحداث التي وقعت في ليلة محاولة الانقلاب عام 2016 لا تزال غامضة، وأن إجراءات فيدان، القريب من عبدالله غول، في تلك الليلة لم تختبر بشكل جاد، فمن غير المرجح أن يتخلى عن حماية دوره الحالي بالانحياز بشكل علني إلى باباجان وغول.

بيد أن الوسائل التي يحتفظ بها فيدان كرئيس لجهاز الاستخبارات لا تزال قوية، وقد يضعها تحت تصرف حزب جديد. وبالنظر إلى احتكار جهاز الاستخبارات للأنشطة الاستخباراتية، فستكون مساهمته لصالح أردوغان أو غول لها أهمية كبرى. ويعتمد مصير فيدان على ما إذا كان بإمكانه اختيار الطرف الفائز مرة أخرى.

جولة أميركية آسيوية حبلى بنزعة إضعاف بكين

بانكوك – لم تكتف واشنطن المراهنة على وجوب السيطرة على الوضع في آسيا بتلك القرارات المؤلمة والمزلزلة التي أقرّها الرئيس الأميركي دونالد ترامب عبر رفع الرسوم الجمركية بنسبة 25 بالمئة على نصف صادرات الصين إلى الولايات المتحدة، وهو ما أشعل حربا باردة حقيقية مع بكين.

جهود أميركية لكبح جماح الصين، أكدتها الجولة الآسيوية التي أجراها وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو الخميس بزيارته العاصمة بانكوك لطرح تبادل "معمق" للأفكار مع نظيره الصيني وانغ يي في بانكوك، حيث حاول تنسيق إستراتيجية الولايات المتحدة التي يعتمدها الرئيس دونالد ترامب، لمواجهة نفوذ الصين في آسيا.

وتأتي هذه الخطوة الجديدة مباشرة بعد جدل تخطى الحرب التجارية بين البلدين، حيث انتهت الأربعاء جولة مناقشاتها الأخيرة من دون أن تحقق تقدما ملموسا.

وتدرك واشنطن وفق الخبراء أن فرصة المزيد من إضعاف الصين لا تكون إلا عبر إحاطة واشنطن نفسها بحزام دول جنوب شرق آسيا وأن الفرصة قد حانت بسبب عدة تراكمات منها أن الوضع متقلب في هذه المنطقة.

فالاقتصاد الصيني بدا في الأشهر الأخيرة متباطئا، كما تدور المواجهات للمطالبة بالديمقراطية في هونغ كونغ وتوجد أيضا حرب باردة جديدة بين اليابان وكوريا الجنوبية، لتصبح الديناميكية التي كان من المفترض أن تدفع المنطقة إلى مستقبل زاهر محفوفة بالمخاطر والانهيار.

العلاقة مع كوريا الشمالية

اعترف بومبيو بأن مواعيده حتى الجمعة في العاصمة التايلاندية، حيث تعقد اجتماعات وزارية لرابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان)، لن تكون فرصة لإعادة العلاقات مع كوريا الشمالية كما كان يأمل، وأن الوقت لم يعد كافيا لتجاهل حقيقة أن الصين تريد فك ريادة العالم من الولايات المتحدة.

وقد عُقد اللقاء المنفرد مع وزير الخارجية الصيني على خلفية التوتر بين القوتين العظميين المتنافستين، بما يتخطى الخلاف التجاري الذي انتهت جولة مناقشاته الأخيرة الأربعاء من دون أن تحقق تقدما ملموسا.

وتعيش منطقة جنوب شرق آسيا على وقع قمم آسيوية، ستحدد وفق المراقبين مستقبل العالم في بكين ونيودلهي، وكانت هذه نقاط ضعف المنطقة لعقود.

وقال بومبيو في مؤتمر صحافي "كنا صرحاء جدا بشأن المواضيع التي نأمل في أن تتصرف الصين حيالها بطريقة تختلف" عن تصرفها في الوقت الراهن.

إلا أن الوزيرين أعربا عن رغبتهما في التهدئة مرحبين بالتبادل "المعمق" للأفكار، حيث كتب بومبيو في تغريدة بعد اللقاء "عندما يخدم ذلك المصالح الأميركية، نصبح مستعدين للتعاون مع الصين".

وأكد "لا نطلب أبدا من دول منطقة الهند-المحيط الهادئ أن تختار بين الدول". وأضاف مخاطبا الأعضاء العشرة في آسيان أن "مصالحنا تتلاقى بشكل طبيعي مع مصالحكم".

والدول العشر في آسيان هي إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلاند والفلبين وبروناي وفيتنام ولاوس وبورما وكمبوديا.

من جهته، أعلن وانغ يي للصحافيين أن بومبيو "قال بوضوح شديد إن لا الرئيس ترامب ولا الإدارة الأميركية ينويان كبح تطور الصين".

أولوية آسيان

في رسالة كشف عنها في الولايات المتحدة، في اليوم السابق، حذر وانغ يي "البلدان التي لا تنتمي إلى المنطقة"، معتبرا أن من واجبها "ألا تزرع الشكوك بين الصين وأعضاء في دول جنوب شرق آسيا". وأضاف أن "الصين ستواصل اعتبار الآسيان أولوية في جوارها".

إلا أن بومبيو ينوي أن يدفع في بانكوك الإستراتيجية الأميركية لمنطقة "الهند-المحيط الهادئ حرة ومفتوحة"، حيث تريد إدارة ترامب أن تكون "أكثر حضورا" من إدارة الرئيس السابق باراك أوباما.

ولا تخفى الطموحات العسكرية الصينية، ومشاريع البنى التحتية لبكين التي يشتبه برغبتها في إحكام قبضتها على المنطقة.

وتعرب واشنطن بذلك عن قلقها من موافقة كمبوديا المحتملة التي تجيز لبكين استخدام قاعدة بحرية إستراتيجية لسفنها، وهذا ما سيؤمن لها وصولا سهلا إلى بحر الصين الجنوبي.

وأعلن مايك بومبيو أن عاصمة كمبوديا -بنوم بنه- نفت هذه الشائعات، داعيا جيرانها إلى "الاقتداء" بهذا البلد الذي "يدافع بقوة عن سيادته الوطنية".

كذلك سيوجه بومبيو تحذيرا إلى الوزير الصيني يتعلق بهونغ كونغ، التي تواجه أسوأ أزمة في تاريخها الحديث، من خلال تظاهرات ضخمة مؤيدة للديمقراطية ضد الحكومة المحلية المؤيدة لبكين. ولم يدل الوزيران بأي تعليق حول هذه المسألة بعد اجتماعهما.

وكان وزير الخارجية الأميركي قال عشية اللقاء للصحافيين الذين يرافقونه "إنهم سكان من هونغ كونغ يطلبون من حكومتهم أن تستمع إليهم. ومن المفيد دائما أن تستمع أي حكومة إلى شعبها"، معتبرا الاتهامات بأن واشنطن تحرض على التظاهرات "سخيفة".

ورغم أن واشنطن تأمل أيضا في الاستفادة من هذه الاجتماعات لدفع رهاناتها المتعلقة بكوريا الشمالية، فإنه ليس من المقرر عقد أي لقاء في العاصمة التايلاندية بين الأميركيين والكوريين الشماليين، وهذا ما يحمل بومبيو على الإعراب عن "أسفه" لكنه يبقى "متفائلا" حيال استئناف المفاوضات في مستقبل قريب، رغم إطلاق الصواريخ الكورية الشمالية أخيرا.

والتقى الرئيس الأميركي للمرة الثالثة، الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون، في أواخر يونيو، في المنطقة المنزوعة السلاح والتزم الرئيسان بإعادة إطلاق المحادثات المتوقفة. ولكن لم يتحدد أي موعد منذ ذلك الوقت.

ويزيد مستقبل العلاقات بين البلدين غموضا، خاصة أن الاضطرابات التي تحف هذه العلاقات أتت بعد ما فهم منه أجواء تفاؤل بعثها لقاء الرئيس الأميركي دونالد ترامب وزعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون، في شهر يونيو الماضي في المنطقة منزوعة السلاح بين الكوريتين، إثر لقاء أشاد به الطرفان، وأثار الأمل في إحياء المحادثات النووية المتعثرة.

جهود أميركية لكبح جماح الصين